

المشرق

التذكار المئوي الرابع

لوفاة لادوه العاشر . لمادة لوماروس بلا صمدوح

ولادرتدار اغناطيوس دي لويولا

في مثل هذه السنة حدثت في اوربة ثلث وقائع كان لحدوثها في التاريخ صدى لا يزال يُسمع رنينه الى يومنا هذا . يزيد بها وفاة لاون العاشر الذي اليه نُسب القرن السادس عشر ونهضة الادب . ثم عصيان الراهب الاوغسطيني لوماروس الذي مزق البراءة البابوية القاضية في شذبه وحمه . ثم ارتداد اغناطيوس دي لويولا الى الله وتخصيص نفسه الى خدمته تعالى قبل انشائه للرهانية اليسوعية . تلك هي الامور الجليلة التي احببنا ان نلخص ذكرها في هذه الصفحات

١ وفاة لاون العاشر

انطلقا هذا السراج الوهاج في غرة كانون الاول سنة ١٥٢١ في عاصمة مملكة رومية وهو في عز كهولته لا يتجاوز عمره ستاً واربعين سنة بعد ان اثار بضائه اللامعة العالم الكاثوليكي على السدة البطرسية ثمانين سنين وبضعة اشهر فقط . فكان خير وفاته كضربة قاضية اُصيب بها اهل رومية بل دهمت سائر ايطاليا والكنيسة الجامعة وعالم الآداب معاً

كان اول سطوع هذا الكوكب المنير في فلورنسة حاضرة بلاد توسكانة في ايطاليا وذلك في ١١ كانون الاول ١٤٧٥ من أسرة طبقت شهرتها العمود من آل مديشيس

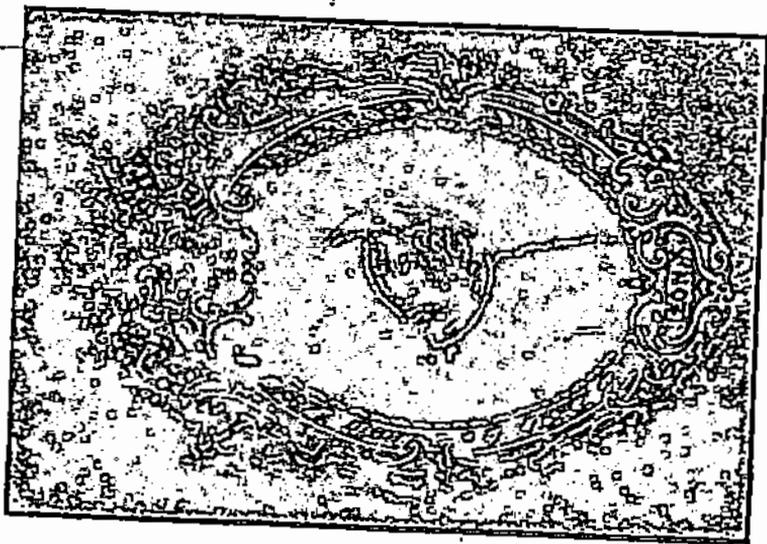
انصار الفنون الجميلة وسائر المعارف البشرية فكانه اقتبس من اسرته وهن وطبه نور مجدهما الاثيل

عني ابيه امير فلورنسة لوران دي مديشيس الملقب بالفخيم (Laurent le Magnifique) بتخرجه في كل آداب عصره فاختر له اوسع الاساتذة علماً واتقيهم عقلاً كـ بولسيان وخلفنديل ومرسيل فيسان (Marsile Ficin) وبيك دي لاميرندول فاشأ جان مزداناً بهجتهم بالعالم والآداب مشاراً اليه بالبنان لذكاء عقله ووفرة معارفه وحسن سيرته مع غضاضة سنه فرقاه البابا اينوشنيوس الثامن الى رتبة كردينال وهو في الثانية عشرة من عمره اعترافاً بفضل الولد وشكراً للوالده بما آداه للكنيسة والدين من الخدم الجليلة . لكنه فرض على الولد قبل ان يتشع بالبزة الكردينالية الرسمية ان يواصل دروسه ويضيف الى علومه المدنية درس العالم الدينية في كلية بيزة مدة ثلث سنوات ففعل ونال فيها كآها قصبة سبق مع شهادات مطلية الناطقة بنجاحه ورقية . فلبس الارجوان في مدخل شبابه واعرب عن اقتداره بما القاه منذ ذاك الحين من الخطب على الناظر . فاهترت مدينة فلورنسة طرباً لدى نظرها ابن اميرها منظوماً في سلك امراء الكنيسة واقامت لهنته مواسم فاخرة وصنها الكعبة وصفاً شائعاً وتنبأوا له بالجلوس يوماً على عرش البابوية

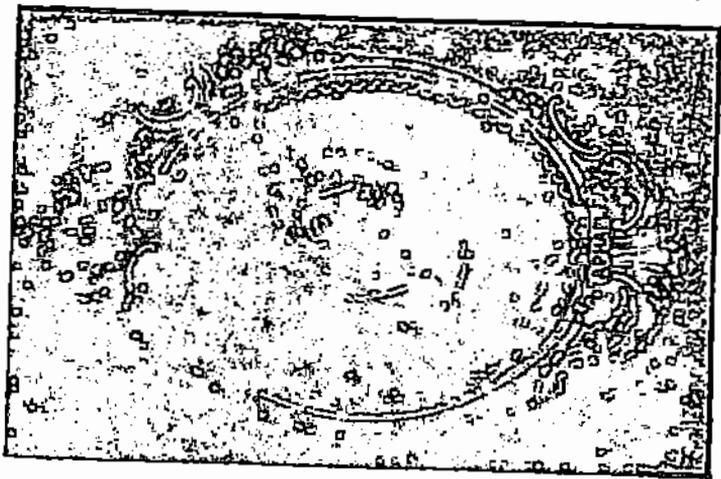
لم يفرح الامير لوران زمناً طويلاً بارتقا . ابنه الى منصب الكرادلة فان الموت عاجله فودع الحياة مزوداً بالمراد الدين معلناً بشديد قملته بايامه (١٤٩٢) . وكان آخر كلامه وصاة لابنه الكردينال بمائة خناناً وحكمة يرشده فيها الى كل واجباته الدينية والدنيوية ويجذره بما يجيد به عن الصلاح

كان موت لوران مديشيس داعياً لانقلاب الامور على ذريته فان بعض اعدائه ربي مقدمتهم راهب ممتته يدعى سقنارول (Savanarole) هيجوا عليهم الشعب ففسي اياديهم اليه وهجم على املاكهم ونهب اموالهم ونجس حقوقهم واضطرمهم الى الفرار من وطنهم

وكاد الكردينال جان مديشيس يهلك في هذه المشاغب لكنه نجا بنعمة خاصة من الله والتجأ الى بلاط بعض امراء ايطالية اصدقاء اسرته الجليلة فكان له المنفى نعم المدرسة لترييض اخلاقه واكتساب الفضائل الخاصة بالرجال المحنكين ذوي



لاون العاشر (١٥١٣-١٥٢١)



ونائيل الصور الشهير (١٥٢٠ +)



المرء المجهّم . وبعد ان قضى عند مضيئه نحو سنتين احب ان يتجول في انحاء اوردية ليزور عظامها ويفتقد ما فيها من الآثار والفنون الجميلة . واذ كان اسم المديشيس شائماً في كل اقطارها وجد الكردينال حيثاسار اطيب مشوى وادح متزل فطاف في مدن النمسة والمانية وهولندة وفرنسة يتفتقد ما في كل منها من الجاسن والتاحف والمخطوطات العزيرة الوجود ثم ابحر الى رومية فأقام في احد قصورها معتزلاً الامور السياسية ومنقطلاً الى الدرس والمطالعة وجمع الثمن الفتيه لاسياً المخطوطات القديمة التي كان انتهبها الفلورنتيون من مكتبة والده فابتاعها وزين بها داره الكردينالية . فما لبث ان توارد عليه رجال العلم ومحبو الآداب فكان يأنس بهم ويدعهم الى مائدة فاضحة قصره نادياً علمياً أحياناً به ذكرتما جده الشهير ولوران النعيم والده حتى عادت فلورنسة فحصدت رومية لازدهار الثنن فيها باحد ابنتها الذين كندت نعمتهم . ومن ذلك الحين تألف فيها حزب لرد السلطة الى آل مديشيس بمساعي بعض زعمائها

قضى الكردينال مديشيس في رومية خمس عشرة سنة حائداً عن السياسة ملازماً خدمة الكنيسة والآداب مدة ملك البابا اسكندر السادس وخلفه يوليوس الثاني وهو فائز بالخطوى لديها لسة فيه وشهرة اسرته ولأسفهما على آله لا حل بهم من المصائب على خلاف استحقاقهم

وكان يوليوس الثاني سليل أسرة مادية لاسرة مديشيس الا انه عدل عن صوت اللحم والدم وقدّر الكردينال جان مديشيس حق قدره . وفي السنة ١٥١١ عهد اليه امر بثمة على مدينة بولونية التي كانت رفعت لواء العصيان على الحبر الاعظم فسار اليها بقلب اسم من الجلمود وكاد يكسر شركتها لولا ان اهلها التجأوا الى لويس الثاني عشر ملك فرنسة الذي كان اذ ذاك يحاول بسط سلطته على ايطالية الشمالية

فحدثت وقتئذ وقائع تشيب لها الاطفال بين جنود البابا واطالان والاسبانيتين وبين الفرنسيين والتمنين اليهم من الالمان وكان الظفر في اول الامر حليف ملك فرنسة رغمًا عما ابداه البايويون من البسالة والحاس تحت قيادة الكردينال دي مديشيس الذي كان في مقدمة الجيش بلا دور ولا سيفر ينفع في القلوب روح النخوة والحمية الى ان وقع اسيراً في ايدي الفرنسيين . الا ان امور الحرب ما لبثت ان دار دولابها فقتل في

حومة الوغى غستون دي فوا (G. de Foix) بطل عصره الفوار ورأى الفرنسيون ان انتصارهم لا يجديهم نفعاً فعادوا الى اوطانهم والكردينال دي مديشيس في أسرهم لكنّه نجح من ايديهم بنوع عجيب وعاد الى رومية فصار له فيها استقبال الجندي الباسل والعبد الامين وعظم في اعين جميع اهل ايطالية حتى ان العصابة عادوا بواسطته الى الطاعة وقتح كثيرون من الامراء ابواب مدنهم للجيوش البابوية

وكانت فلورنسة من جملة المدن التي آحنت عليها الكرسي الرسولي ليل سودريني صاحبها الى الفرنسيين فانتهر انصار أسرة مديشيس هذه الفرصة فزحفوا عليها ودخلوها عنوة واسروا سودريني واخذوا يملون السيف في اهلها لولا ان الكردينال جان دي مديشيس توسط بين المدينة وقاتحها ونال لمواطنيه الامان. فعادت الاسرة المديشيسية الى عزها السابق وملك على فلورنسة جوليان اخو الكردينال وخلفه من بعده آله الى اواخر القرن السابع عشر

اما الكردينال جان فانتدبه الخبر الاعظم لمهام جديدة وجعله حاكماً على مدينة بيروزة فجمع في تدبيرها بين الحزم واللين واكتب رضى الجميع

*

في ٢١ شباط سنة ١٦١٣ انتقل البابا يوليوس الثاني الى جوار ربه بعد جلوسه على كرسي الخلافة البطرسيّة احدى عشرة سنة عزّز فيها سلطان الاجار الرومانيين وانتقد ايطالية وطلبه من نير الطامعين في ملكها وجعل على مفروق الكنيسة الكاثوليكية تاجاً من البهاء زادها حسناً في اعين العالم باجمعه

اسرع الكرادلة فاجتمعوا لانتخاب خلفه فا مرت عليهم ايام قليلة حتى وقع الاختيار على جان مديشيس في ١١ آذار سنة ١٥١٣ حيث وجدوه كفواً للتدبير الكنيسة وجديراً بالذبح عن حقوقها وقهر اعدائها وهو اذ ذاك شماس انجيلي فقط فسم في ١٥ آذار كاهناً ثم اسقياً في ١٢ منه وفي التاسع عشر جرت حفلة تتويجه بروفق عظيم وتباشر به عالم الدنيا والدين . واتخذ له اسماً شرفه قبله تسعة من الباباوات اولهم واعظهم القديس لاون الكبير (٤٤٠-٤٦١) الذي خلص رومية مرتين من ايدي البرابرة الهونيين والغندالين وملكها اثيلا وجنريك . وقد شرف ايضاً هذا الاسم الثانية الذين اتسموا به لكن لاون العاشر فاق عليهم لجمعه كل

الصفات المتفرقة فيهم فاستحق كبعض توابغ الدنيا ان يزدان عصره باسمه الكريم
اشهر لاون العاشر من ثلثة وجوه كرجل سياسة و كرجل دين ورجل ادب
﴿ رجل السياسة ﴾ تبوأ ابن مديشيس السدة البطرسية في زمن كانت ثلث
دول كبيرة تطمع ببصرها الى ايطالية لتتقم اصقاعها وهي المانية وفرنسة واسبانية
لحقوق صادقة او فرية تدعيها لادراك امانها . هذا فضلاً عن الجمهوريات الايطالية
النصرى التي كانت تنوي توسيع حدودها وبنحس حقوق الكنيسة الرومانية . فكانت
تلك المطامع لجمل موقف الحبر الروماني حرجاً مخفوفاً بالمخاطر . الا ان لاون العاشر
عرف بحسن نظره وحكمه بالامور السياسية كيف يسلك مع الدول ليفوز باستقلال
ايطالية . فانه تصدى لملك فرنسة لويس الثاني عشر واضطره بمساعدة مكسييليان
الاول ملك النمسة وعضد الجيوش السويسرية الى ان يبرح ميلانو ومقاطعاتها . ثم
خاف البابا من محالفة كادت تُعقد بين النمسة وفرنسة واسبانية وتهدد ايطالية
فتسكن بمذاقته وحسن تدبيره ان يتمها ويصون موطنه والكرسي الرسولي معاً من
هذه المخاطر الجديدة

ثم قام في فرنسة بعد لويس الثاني عشر فرنسيس الاول ابن اخيه (١٥١٥) فشبث
نيران جديدة تخوف منها لاون العاشر وجعلت ايطالية تحت رحمة اعدائها فسمى البابا
باطفاه سعيها لكن فرنسيس الاول قهر كل القوات المتحالفة لرد غاراته وبسط ملكه
على ميلانو وتوابعها . فلم يقتط البابا من امره بل اجتمع في بولونية بملك فرنسة وعقد
معه معاهدة خولت الحبر الاعظم سلطة فعلية ونفوذاً اعظم في رعاية الشعوب
الكاثوليكية لاسيما في ايطالية وفرنسة

ولما عاد لاون الى رومية حاول تمكين سلطانه في عدة مدن ايطالية كان امرؤها
يتصرفون فيها على هواهم ولا يكثرثون لاوامره ونواهيها . فانزع مدن اوربينو
وبيروزه وبارمة من ايدي طقاتها ولسها لعامل امانا . واستند الوسع في بسط السلم
والامان في انحاء البلاد

ثم خلف في المانية مكسييليان حفيده كورلوس الخامس سنة ١٥١٦ وقد كان
سابقاً ورت فردينند الكاثوليكي سنة ١٥١٦ بملكه على اسبانية فجمع على رأسه
تاجي المانية واسبانية . وما عثم ان وقع بينه وبين فرنسيس الاول منازعات وحروب

دامت ثلاثين سنةً وابتدأت على عهد لاون العاشر فاحابهُ منها همومٌ كدَّرت صفاءَ حياته لطموح بصر كليهما الى ايطاليا هذا الى جنوبها وذاك الى شمالها وهما يطلبان جميعاً من الحبر الاكظم نعمة الامبراطورية الرومانية وامتيازاتها . فكان البابا يضطرَّ حيناً الى عمالة الواحد وحيناً الى جمالة الآخر لئلا ترجح كفة ميزان احدهما فيصبح خطراً على البلاد وعلى الممالك البابوية . على أنه في آخر الامر نفر من عُنْجِيَّة ملك فرنسة فانهز الى كرلوس وفي اثنا ذلك مات بعد ظفر حلفائه

وكانت غاية ما يقصده لاون العاشر من حروبه ان يثبِت بلادَهُ بالسلم والراحة ويكسر نير الاجانب فيجعل ايطاليا مستقلة بامرورها قويةً باتحاد عواهلها مع اكبر ماركها وسماتها اعني الحبر الروماني

وكانت هذه الغاية القريبة يوجهها لاون الى غاية اسمى واعظم وهي ان يجمع كل قوى الدول المسيحية ويربطها بروابط محكمة لرد غارات الاتراك الذين كانوا يتقدمون كل يوم الى نواحي الدول النصرانية ويتهددونها من كل صوب بعد ان فتح سليم الاول بلاد الشام ومصر ورودس وتقررت جيوشهم من المجر والنسة . وكان الملوك الاربين ساهون عن ذلك الخطر المُجحف على خلاف الاجار الرومانيين الذين كان جل مساهم ايقاف العثمانيين عند حدودهم لابل كسر شوكتهم وتل عرشهم . ومن يطالع على كتابات لاون العاشر الى كافة الملوك والامراء في المائة وانكلترة واسبانية وفرنسة والمجر وسويسرة والبندقية وجنوة يأخذ الاندهاش لصوت ذلك التنفير الذي يبعث ملوك النصرانية من جودهم ويوقظهم من سباتهم . وقد بلغ به حبه لخلاص النصرانية الى انه دعا اهل رومية الى طواف ديني مشى هو فيه حافياً لئال من الله رحمةً وتبر اعداء كنيسته وكذا فعل بعده خلفاؤه الى ان وجد نداءهم صدىً في قلوب الملوك فاتحدوا مع الكرسي الرسولي وانقذوا اوربة من همجية بني عثمان بانتصاراتهم عليهم في ثبته وبودابست وليانت

﴿ رجل الدين ﴾ لم تكن امور الياسة لتصرف نظر لاون العاشر عن شؤون الدين بل قل انه لم يقصد من سياسته الا الدفاع عن حياض الدين اذ انه رأى خطراً كبيراً على استمالة الكنيسة الروحي لو فقدت استقلالها الزمني كما ترى في البطريركيات الشرقية التي اصبحت آلة في ايدي الملوك والسلاطين بتقد حريتها

ولنا أولاً عدة شواهد تثبت ما طُبع عليه لاون العاشر من روح التقى والحلمس في الدين . فهذا مجموع رسائله البابوية التي تنطق كلها بتفانيه في سبيل الدين ويفتد كل سطر منها . أكاذيب البروتستانت في المثنية وإشاعتهم في حقّه

ومن الحذب الجليلة التي أداها لاون العاشر للكنيسة جما . مواصلة أعمال المجمع المسكوني السابع عشر وهو الخامس من مجامع الكاتندرا اللاترانية كان باشر به سلفه يوليوس الثاني سنة ١٥١٢ فهدت بهمة لاون عدة جلسات وُضعت فيها قوانين حنة للإصلاح الحقيقي لآداب المؤمنين والاكليروس وبها بطل سلفاً مدعى لوناوس لإصلاحه التوهوم . وفي هذا المجمع قُطع دابر الانشقاق الذي أحدثه بعض الكرادلة في بيضة فأنابوا الى الله وجاوروا خاضعين لإمامي الكنيسة . وفيه أيضاً أثبت رسياً مشروع خيرى كان انشأه راهب فرنسي يدعى برزندان ليعرض القملة والقراء . مالا في ضيقتهم بدلاً من رهن يرهونونه ريثما يردون المال فيسترجعون المرهون بجمالة . زهيدة يؤدونها وبذلك يتنجون من ربى اليهود الفاحش البالغ ٢٠ الى ٥٠ بالمئة . وكان ختام هذا المجمع في آذار سنة ١٥١٧ بعد اتفاق الآباء على وضع بعض الرسوم لمحاربة الاتراك وتقييد الطباعة بقوانين تكبح جماحها وتحصرها ضمن حدود الأدب

والى هذا الباب يعود الفضل بانثائه في رومية ملاجى . للفتيات الثابتات ومطاعم مجانية للقراء المدينة . ومن مآثره الدينية اهتمامه العظيم بالرتب الدينية لتُقام على منوال اهل بجلاله تعالى لاسياً رتب جملة الآلام التي كان يتراحم الزوار من كل الانحاء . لحضورها . وكذلك كان من السعاة في تنظيم الموسيقى الدينية والحنانها الشجية . كما أنه انهمض الدروس اللاهوتية في كلية رومية المعروفة بمدرسة الحكمة (la Sapi- ence) فاختار لها ثلاثة من اساطين ذلك العلم الجليل ورقى بعض اللاهوتيين الى رتبة الكرادلة واعد منذ ذلك الحين اختصاصيين اشتهروا بمدن في المجمع التريديتيني

واظهر لاون عناية خاصة في نشر الدين في البلاد الاميريكية والجزائر المكتشفة حديثاً في العالم الجديد بين شعوب تلك المجاهل السحيقية . ولم ينسَ كتابنا الشرقية كما يلوح من براءاته الاحدى عشرة المرسله لطاركة الموارنة ولساقتهم وشعبهم ولا يسعنا ان نسكت عن نشاطه العجيب في تشييد كنيسة مار بطرس التي كان

بأشربنا أسلافه فكان له في متابعة العمل سهمٌ عظيم كما تشهد عليه حتى اليوم
عدةٌ تحف ترين ذلك البناء الممدود بين عجائب العمور

هذه بعض مآثر لاون العاشر في جانب الدين من شأنها أن تُفعم المتشدقين من
الشيخ البروتستانتية الذين صوروه في كتاباتهم كرجل فنوني عالمي لا يكثر لخدمة
الدين ولصالح الكنيسة

﴿رجل الآداب﴾ قد امتاد المادون للكنيسة أن يبنوا ذويها بالجهل ومناهضة
العلوم . لعمرى أن تلك دعوى باطلة يردّها تاريخ الكنيسة من أول ظهورها في العالم
الى اليوم . وقد امتاز خصوصاً الاجبار الرومانيون بحفظ الآداب ورفع منارة المارم
في كل اجيالهم

على أن لاون العاشر قد لاح في سما الكنيسة ككوكب دري ونجم ساطع
النور فات سلفاءه بشرف لواء المعارف والفنون الجميلة . وقد سبق انه رضع منذ صباه
فاويق العلوم وعشق الآداب ولم يزل متشبتاً باهداياها الى زمن رقيه الى منصب الخلافة
البرطسيّة . فلئذا أقيت اليه مقاليد الكنيسة الجامعة رأى ان تعزيز المعارف احد واجباته
كتميزهم للدين ليجريا في ميدان التمدن كفرنسي رهان لا يفرق بينهما حاجز

وأول ما صنع لاون لنشر لواء العلوم انه دعا اليه مشاهير زمانه واقربهم في
اصته رومية وجعل لهم رواتب واسعة تفنيهم عن هموم الماش وكثيراً ما كان
يدعهم الى البلاط القاتيكاني ويقضي معهم ساعات الفراغ ويعين لكل منهم ما
يراه مناسباً لمعارفه

فنهافت الى رومية جمهور من العلماء والأدباء والشعراء والصفحة والمؤرخين
اصبحت بهم رومية كتدنى العلوم جما . ومركز كل الفنون

ومن الادلة الناطقة بفضل تنشيطه للطباعة التي كان الحبر الروماني بولس الثاني
دعا اصحابها الى رومية منذ السنة ١٤٦٦ فجعلهم تحت حمايته فصدرت من مطابعها
كتب دينية وادبية لا يحصى عليها اليوم الأبق النفس والمبالغ الطائفة . فوسع لاون
نطاقها وعني بامورها المادية والادبية وجعلها تحت نظارة اليوناني الشهير جان
لنكاريس وجهرها بكل الادوات اللازمة وسعى باستحضار حروف عبرانية
وكلدانية وسريانية وما لبثت بعد قليل أن اصدرت مطبوعات جديدة لقدماء كسبة

الرومان واليونان مع ترجمات عديدة للكتاب المقدس من المهديين العتيق والحديث
ولاسيما المزامير والاناجيل

وتماً ساعد نشر العلوم والمعارف المكتبة القاتيكانية فان لاون اضاف اليها
مخطوطات مكتبته الخاصة وابتاع لها كتباً عزيزة الوجود منها كتب شرقية عربية
وسريانية وعبرانية وارسل فيليوس بيرالد (Ph. Béroalde) ناظرها وعدة علماء
الى انحاء ايطالية والمانية وفرنسة واليونان ليعثوا عن المخطوطات في كنائسها
واديرتها فيجلبوها ولو بأعلى الاثمان. قيل انه دفع ٥٠٠ دينار في تاريخ الموزخ ناكيتوس
وجده في احد اديرة المانية. فلما طبع اعلن البابا في مقدمته انه يجازي جزاء عظيماً
كل من ياتي به بكتاب قديم مخطوط. وكان السلوك والامراء يتقربون الى لاون
بارسالهم له مخطوطات نادرة كان يدعو العلماء الى نشرها على نقتته

ووجد لاون العاشر الكلية الرومانية خاملة دون مدرسة باريس وميلانو
وبرولونية فاراد ان تجاريها جميعاً بل تكون في مقدمتها في تعليم كل العلوم ليس الدينية
فقط كاللاهوت والحق القانوني بل المدنية ايضاً كالقته والطب والهيئة والرياضيات
والفلسفة والادب والبيان واللغة والتاريخ الطبيعي وكان يدفع بسخا. واتب كل
المعلمين الذين بلغ عددهم فوق المئة وكان للعلوم البيانية ١١ موطاً و٢٠ للغة و١٥ للطب
والفردات الطبية وهلم برأ. وقد صُغت بهتت تواريخ شتى كان لها احسن وقع في
عالم العلم

وكان الحبر الاعظم مولماً بالفنون الجميلة وقد مر لنا ذكر اصلاحه للموسيقى
الكنسية وكان يجب ان يسمع نفحات كبار الموسيقيين لترقى نفسه بها الى الله والامر
الملوية وكان يضرب بالقيثارة كداؤد الملك

وقد نبغ في ايامه قوم من الشعراء الايطاليين كاريوستو وميو ويذا وجيبرتي
وينازار كان البابا يثيبهم على ما تنتجهم من القصائد الرنانة
وما قولنا بولع لاون العاشر بفن التصوير فكفاهُ فخرًا ان رفائيل المصور الشهير
كان يجيرته فصور لرومية تلك التصاور التي ترين الى اليوم كنيسة مار بطرس والقصر
القاتيكاني وبعض المتاحف والتي يُدفع في ثمن الواحدة منها الوف الالوف من
الفرنكات وقد مات رفائيل في ريسع شبابه وعمره ٣٧ سنة يوم جمعة الآلام سنة

١٥ فآثر موته اعظم التأثير في الحبر الاعظم فيسكى في جنازته (اطلب صورته) ومثل رفايل في نبوغه بالتصوير والنحت والهندسة معاصرة ميكال أنج الذي عرف عصر لاون العاشر وأدى للكثيرة من الخدم في هندسة كنيسة مار بطرس قسما وتصاويرها ما جعل اسمه منتظماً في سلك اكبر نوابغ العالم ونضرب الصفع عن عشرات آخرين من المصورين والنحاتين والمهندسين الذين نوا يساعدون ذينك الملمين وكثيرون كانوا من تلامذتها ولهم في رومية اعمال بار اليها بالبنان

فبهولاً وغيرهم ايضاً كانت تلك النهضة الادبية التي جعلت خلافة لاون العاشر وكانت داعياً لترقي ايطالية عموماً ورومية خصوصاً. فان انتشار الصناعة كان عياً لانتساع دائرة الاعمال التجارية والاقتصادية حتى زاد عدد سكان رومية وبلغ في عدده السابق

٢ مناداة لوتاروس بالاصلاح الموهوم

ورد في العدد ٢٥٩٠ من النشرة الاسبوعية الاميركانية في تاريخ ٧ تموز السنة ١٩٢٠ مقالة بهذا العنوان ذكرى الاصلاح الانجيلي افتتحها كاتبها بهذه الاسطر:

« في ١٨ من نيسان هذه السنة كان قد مر ٤٠٠ حوال على وقوف المصلح الشهير مارتن لوتاروس للاصلاح اللدبي في ورمس ففي مثل ذلك اليوم يتذكره كل الذين نالوا الاصلاح عبيد ذينك الاصلاح لأن ذلك العمل الخيم بعد في التاريخ من اعظم الاعمال »

كنا نود ان نضم صوتنا الى صوت النشرة الاسبوعية وكل التبذهيين بمذهبا متهم جميعاً بهذا الرسم السعيد بيد اننا همما تمننا في ذكرى هذا الاصلاح وجدناه سماً بلا جسم وقشرة دون لب. وهذا ما نحاول بينائه بفصل وجيز نعرضه على من لا تنشي عيونه الاوهام فنقول:

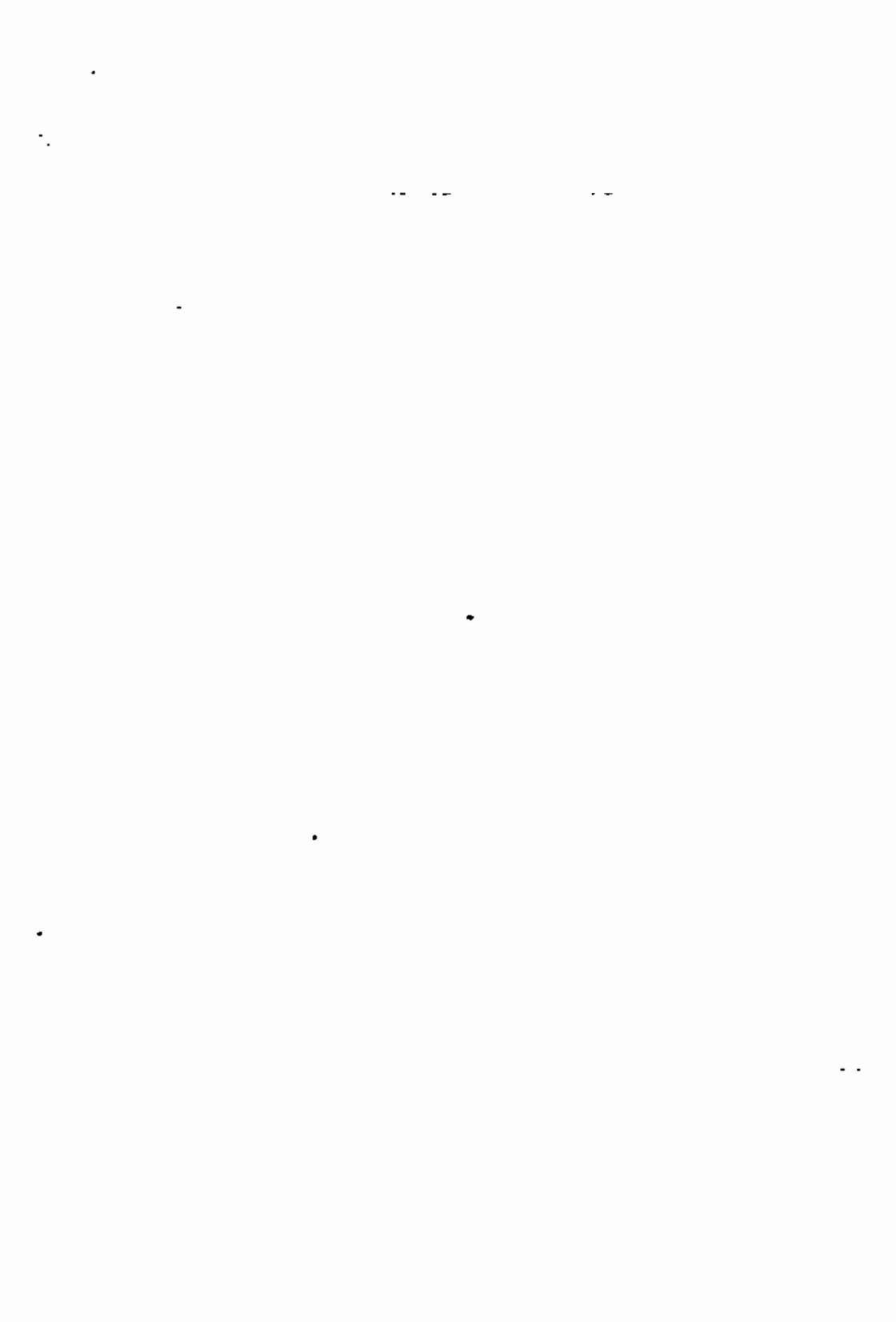
اولاً ان الله اذا رأى في كنيسته فاداً فاراد اصلاحه لا بُد ان يختار لها مصلحاً مختلفاً باراً. ثانياً ينبغي على المصلح المذكور ان تكون تعاليمه صالحة موافقة للوحي لتعليم الآباء. ثالثاً ويلزم ان يأتي ذاك الاصلاح بالنتائج الحسنة والاثمار الحيدة. رابعاً هذه الشروط الثلاثة مفقودة لا اثر لها في الاصلاح البروتستاني



صورة لوتاروس

صورها يوحنا هُلبين معاصره

قال لوتاروس في مذا كراتيه (وجه ٣٥) : عندي ثلثة كلاب شريرة وهي
الكشود (كفران النمة) ، والكبرياء . والحد . فن عضته أحسن عتة .
وزاجي يتدقق بالضب . وعقلي يشخذ غرازه بالكيد .
وقريحي نجود عند النيبض



١ بس لوتاروس معلماً صالحاً بين أئمة

لو أجبنا النظر في سيرة لوتاروس الرومية من البروتستانت فضلاً عن الكاثوليك واجتيناها من كتاباته وجدناها بنس السيرة التي يُحجل منها كل رجل غاقل بار خانف من الله. وُلد مرتينوس لوتاروس في أَيْسِلان من اعمال المانية سنة ١١٨٣ من عائلة حقيرة وبعد دروسه ترهب في رهبانية الاوغستيين سنة ١٥٠٨ ثم سم كاهناً وأرسل الى ورتبرغ ليعلم فيها الفلسفة وكانت في تلك المدة تساوره الوسواس ففتوش عقله وتبلبل راحة قلبه. وفي السنة ١٥١٢ نال امتياز المنة في رهبانيته فاخذ منذ ذلك الحين يُظهر استبداداً في تعليه قلماً يقنع لشورة رؤسائه الداعين له الى الحطة المثلى وقد اظهر لوتاروس في ذلك الوقت ما طُبع عليه من شراسة الاخلاق لاسياً الكبرياء والغضب فأنه جاهر بها حتى لم يُحجل بتقديهما حيث قال: «دون الكبرياء لا يستطيع الانسان عملاً حسناً». وكان يبرر غضبه الوحي ومتو طباعه بمثل السيد المسيح الذي غضب على القرابين. واخذ منذ ذلك الحين يرشق بسهام لسانه البذي كل من لم يوافقه على آرائه الغربية فياقتهم بألقاب يستحي من لفظها الارباش تجدها في تاليفه وفي السنة ١٥١٦ اراد الخبر الاعظم لاون العاشران يشرف بيعة الله بتمجيد هامة الرسل في رومية ومواصلة بناء كنيسة الشيدة على ضريحه فأرسل الى انحاء اوربة واعطين ليدعوا المؤمنين الى التوبة ويمحورهم غفرانات قانونية طالعين منهم بعض الصدقات لمساعدة ذلك الشروع التقوي. فامتعض لوتاروس غيظاً على الخبر الاعظم اذ انتدب لهذه الغاية الرهبان الدومنيكيين بدلًا من ذوي رهبانيته وانتهزتلك الفرصة ليلقى ارباب الكنيسة والخبر الروماني نفسه بالشتائم مدعياً انه بذلك يتجاوز سلطته ويبيع الروحيات وذي ما اعطى السيد المسيح لرأس كنيسة من سلطان الجلال والربط في السماء والارض وان الثمرانات لا تمحور بذاتها الخطيئة وانما تسامح فقط بالعقاب الزماني الذي تسترجبه الخطيئة المغفورة من الله. والدليل على ان لوتاروس أقدم على خطبه الثوروية لغايات سافلة ما اقر به بعدئذ في كتبه بقوله: «إني اقسم على حياتي وخلصي اني لما تصدّيت لمناقضة الغفرانات ما كنت أدرك معناها» فكان اذن فعله هذا جهلاً وتعمهاً وعجرفة ليس غيرة على الكنيسة وإصلاحها

ولما استدعاه اسقنه ثم الحبر الاعظم ليؤدي الحساب عن اقواله واعماله اظهر الخضوع اولاً ثم نشر راية العصيان واخذ يفتش في الكنائس وساحات المدن سموم غضبه على كل الاقداس ويجرّك مطامع امراء المانية على اوقاف الكنائس فلبوا ونهبوا واحرقوا وقتلوا باغرائه . واذ ضربه الحبر الاعظم في ١٥ حزيران سنة ١٩٤٠ بالحرم لعصيانه احرق البرائة الرسولية وفرّ هارباً من وجه العدل مختبئاً عند امير مكسونية فرديريك صديقه والموافق له على نفاقه

وبما ان الكبرياء يعاقبه الله بان يجعل الانسان الى اهواء قلبه ما لبث لوتاروس ان خلع كل عذار فجدد كهنته وخذع راهبة قدعى كاترينا دي بور تروجاها سفاهاً وعاش معها بالزنا . ثم اخذ يجرّض الكهنة على نبذ سنة العزوبة على مثال بل سمح لاحد امراء المانية بالاضرار اي الزواج بامرأتين معاً على عكس التعليم الانجيلي هذا هو رجل الإصلاح الذي تقتخر به الشيع البروتستانتية . فن شوكة على رأسهم نبت العنب ومن عوسجه التين على خلاف قول الرب . وقد عرف نفسه حتى المعركة اذ أرقه يوماً كاترينا امراته السماء لامة بالكواكب فصرخ متأسفاً :
ليس هذا من حصتنا

٢ بست نعاليم لوتاروس جديرة بالاصلاح

ان من يطّلع على كتابات لوتاروس يجد فيها من الاضاليل ما كان متوقفاً منها في كافة المرطقات السابقة . واول ما بنى عليه صرح تعاليمه هذا البدأ الفاسد ان الكتاب المقدس وحده يحتوي كل دستور الايمان وحقائق الدين لينفي بذلك سلطة الكنيسة للتعليم كأن السيد المسيح ارسل الى العالم اجمع تلاميذه بقوله : اذهبوا واكتبوا . ولم يقل لهم اذهبوا وعلّموا . واطاف الى هذا البدأ ثانياً اشنع منه وهو حرية كل مؤمن ان يفسر الكتاب المقدس على هواه ففتح بذلك باباً واسعاً لكل البدع والتزهات والتعاليم المتناقضة فينكر الواحد من اصحابه ما يثبته الآخر وكلاهما على قوله ملهم من الروح القدس . تلك هي حرية الضمير او حرية الافكار ينبوع كل البدع والفسطات

فلي هذا الاساس الواهن بنى لوتاروس مذهبه . ولم يلبث ان يشغفه بتعاليم اخرى

الضلال فيها ظاهر لكل عيان بل هي والحقيقة على طرفي نقيض منها انكار لوتاروس لحرية الانسان في اختياره للخير والشر كأنه مدفوع اليهما من الله وبه ينفي كل ثواب وعقاب ويجعل الخلاص والملاك تحت رحمة تعالى دون ملاحظة أعماله الصالحة او الطالحة . ومنها تبرير الانسان بالايان دون الاعمال مع رذله للاعمال البرورة وججوده لمنفعتها امام الله حتى بلغ الى هذا القول النطيع : " أخطى ما شئت وليتوب ايمانك على خطاياك "

هذا الى تعاليم أخرى عديدة مُضَلَّة قال بها واوغتته في بيداء الاوهام كإبطاله للذبيحة الطاهرة ولناوالة القربان الاقدس وكثفه حقيقة المطور ولتفعة الصلوات لاجل الموتى ولشفاة القديسين واكرامهم وكالغائب الاسرار المقدسة والرُتب الكنسية تحت رئاسة الاساقفة والحبر الروماني . وخلاصة القول أنه نقض كل العقائد التي علمها ابن الله للعالم ودونها الرسل بعده في اسفار العهد الجديد او سلموها الى خلفائهم شفاهاً فبلغت الينا بتقليد متواصل لم تنفصم حقايقه في توالي الاجيال

٣ أثمار اصلاح لوتاروس الموهوم

لما اراد السيد المسيح ان يحدّث تلاميذه من الانبياء الكذبة اعطاهم لذلك قاعدة ثابتة يبدون بها بين الصديتين الحقيين والاشرار الماكرين حيث قال : " ومن اثمارهم تعرفونهم " . فلنلقه بالنظر الى نتيجة اصلاح البروتستاني فما هي يا ترى الاثمار التي اتى بها الخير البشر ولسعادة الشعوب ؟

ما رفع لوتاروس عميقته ليدعو الى اصلاح الروم حتى انفجر السد الضابط للشهوات البشرية واندفع ذلك السيل الجحاف بل الطوفان العرممي فحوّل اوردية الى ساحة قتال طبقت شرورها ووجه الارض قنارت تلك الحروب الدينية التي فعلت ما لم تفعله حربنا الكونية الاخيرة ودامت نحو منتي سنة

فليقل لنا المتسمون الى المذهب اللوتراني ماذا اصلح زعيمهم لوتاروس ؟ هل اصلح المعتدات ام اصلح الآداب ؟

اما المعتدات فهي باقية راسية رسو الصخر . الاصم في الكنيسة الكاثوليكية لم يزغزعها الا عصا البروتستاني فالكنيسة وحدها يمكنها ان تثبت معتقدها عملاً ونقلًا

وليس كلامنا هذا على بعض المبادات الاختيارية الجارية في الكنيسة وغايتها إنعاش روح التقى والمباداة ، وانما نتكلم عن الحقائق الجوهرية وذات الاسرار الفائقة الطبيعة فان الكنيسة لا تصدق على واحد منها الا استنادا الى اقوى البراهين واثبت البينات وترى على خلاف ذلك الشيع البروتستانتية تنمو وتتمدد وتتشعب وتتنفث حتى لم يبق منها عقيدة واحدة يتفق عليها البروتستانت باجمعهم . فان لوتاروس نفسه رأى قبل موته ٢٤ شيعة خالفت تعاليمه فندم على ما فات ولات حين ندم . وهذا ما كتبه بيده الى صديقه غليوم پرافست :

« اني لأعلم يا اخي في المسيح ان شكوكا عديدة تحدث على حجة الانجيل ينسوخا الي . ولكن ما السل ؟ ليس مبشر الا ويدعي انه اعلم مني منه ضعف واذا زجرتم لا يسرون مني فان بيبي وبينهم حربا عوانا اشد من محاربي للبابا وهم الذعدوة علي منه »

ثم يحاول تبرير نفسه ولكن هيات ان يصفي احد الى دفاعه عن ذاته . فان مبادئه الفاسدة لا تزال كل يوم تقسم البروتستانت حتى بلغ عددها في هذه السنين الاخيرة نيفا وثلاثة آلاف شيعة تسب الواحدة الاخرى وتريف تعاليمها ولا تتفق الا في محاربة الكنيسة الكاثوليكية مركز الايمان وعمود الحق

ولا ترى احدا من الكاثوليك يترك دينه ليدن بالبروتستانتية الا لثاية بشرية (الفلوس او العروس) واعترف لوتاروس عينه بذلك حيث قال : اذا اراد البابا ان ينظف بستانه من اعشابه الفاسدة يقامها فيلقها في جنيتي . ونرى على خلاف ذلك الرفا من وجوه البروتستانت واكليروسهم وعلماهم المبرزين يجحدون كل يوم مذهبهم ويضعون كل ملاذ الحياة والننى وشورات العالم والمنصب النيفة لينضروا الى الكنيسة الكاثوليكية ليجدوا راحة لضيرهم

وما قولنا عن الآداب فان الاصلاح اللوتاراني كان لها آفة وبيلة بوضعه ذاك البدأ الفاسد الذي يرده كل ذي عقل صائب اعني بطلان الاعمال الصالحة امام الله وعدم فائدتها للخلاص بينما الانجيل يدعو اليها في كل صفحة من صفحاته لاسيا اذ يقول السيد المسيح لذلك الشاب الذي سأله : اذا يعمل من الصلاح ليرث الحياة الابدية فقال له : ان شئت ان تخلص فاحفظ الرصايا . وحيث يقول الديان في اليوم الاخير للابرار انهم باعمال رحمتهم نحو العطشان والجوعان والريان والسجين ياتلون السادة

الابدئية . والعكس بالعكس اذ يقضي بهلاك الاشرار لإعمالهم الاعمال المبرورة
هذا ولا ننكر ان بين البروتستانت يوجد ناس اديبا . افاضل الا ان فضلهم من
حسن عنصرهم وتربيتهم وجريهم على التعاليم المطبوعة في قلب الانسان من الله ليس
من تطبيق اعمالهم على المبادئ البروتستانية . وكذلك لا ننكر ان بين الكاثوليك
اشرارا وانما شرهم لمخالفتهم تعاليم الكنيسة فقط . فترجوا عليها لأصبحوا ابرارا
صالحين . والفرق بين الامرين ظاهر واضح

٣ ارثراد القديس اغناطيوس

هي الذكرى الثالثة التي اشرنا اليها في بدو هذه المقالة فحدثت في سنة وفاة
لارن العاشر ونشر لوتاروس راية عصيانه . فكان الله قصد ان يجمع بين هذه الامور
الثلاثة ليبين لكنيسته انه بفقدما كبير اجارها وبما نالها من الاسف على ترمد احد
ابنائها عليها وتمزيقه لثوب المسيح لم يهلها ويقم لها حمة كرامة بسلا . يردون اليها
بالى ما خسرته في بعض البلاد

وُلد اغناطيوس دي لويلا من اسرة شريفة سنة ١٢٩١ ودُتي احسن تربية
مسيحية كاسراء . ذلك الزمان ولم يحدل من العلوم الا ما يحتاج اليه في خدمة ملكه
فدخل بلاط الملك فردينند بين اولاد الاشراف واستعد ليخدم وطنه في معامع
الحرب التي كانت نفسة الكريمة تتوق اليها ليحرز له فيها مجدا ائسلا كاجداده .
فتجند في مقتبل العمر في جيوش الدولة وتنقل بزمن قريب الى اعلى مناصبها

وكان اغناطيوس يتلهب غيرة على وطنه يتمنى وقوع حرب يعلن فيها عن نخوته
وشهامته . فجاءت الظروف موافقة لرغائبه . فلما كانت السنة ١٥٢١ نشبت الحرب
بين كزوس الخامس خلف الملك فردينند وامبراطور المانية وبين فرنسيس الاول ملك
فرنسة . فزحف الفرنسيون على شمالي اسبانية وحلصروا مدينة پبيلونة التي كان
وكل اليه امرها ومع قلعة ما كان لديه من الجنود اراد ان يدافع عنها الى آخر الانفاس
الا ان اهل المدينة ابروا الا الاستسلام الى العدو لما رأوا من عدد جنودهم وعظم قوتهم
وشدة اسلحتهم ففتحوا لهم المدينة . فلم يشاء اغناطيوس ان يوافق اهلها على فعلهم
وتحصن في القلعة مع من رآهم من جنوده متحترزين للدفاع عنها

فما عثمَ الفرنسيون ان نصبوا على اسوارها السلام وصوروا اليها كرات مدانهم بينما كان اغناطيوس بصوته ومثله يستهضهم جنوده ويستقل لرد غارات العدو الى ان فتح بقذائفه ثلثةً من الاسوار وأصلى الأسبانيين ناراَ حاميةً فأصيب اغناطيوس بقذيفةٍ كسرت عظم ساقه اليمنى ووقعت على اليسرى حجرةً ضخمةً جرحتها جرحاً بليغاً فوقع صريعاً على الحضيض بعد ان ابلى احسن بلاء. مدة سبع ساعات متواصلة. فلستأمن جنوده على رغم منه اذ كان يرغب ان يموت موت الابطال في ساحة القتال . فدخل الفرنسيون القلعة ظافرين الا أنهم أعجروا من بسالة قائد الاسبانيين وعاملوه بكل لطف وإكرام وبعد ان ضمدوا جراحه حملوه في هرجج واورلوه الى قصره . وكان يوم سقوطه جريحاً موافقاً لاحد المنصره في ١٦ ايار كأنَّ الروح القدس اراد بتلك الجروح المادية يشفي نفسه ويمددهُ لجهاد اعظم واشرف عن كنيسته في نفس اليوم الذي غير قلوب التلاميذ في عليّة صهيون وسلّمهم بقوته ليُقبلوا العالم كسيدهم المسيح . وفي نفس السنة التي هيّج ابليس فيها جنوده ليحملوا على الكنيسة مؤتملاً بجملة ان تقوى عليها هذه الدفعة ابواب الجحيم تقبل مواعيد ابن الله

. ولا حاجة ان نتّسع في ما جرى لاغناطيوس في قصره اذ كان طريح الفراش واشرف على الموت لولا أنّ هامة الرسل القديس بطرس تراءى له في المنام ووعدهُ خيراً وشفى جرحه مجازاة لقصيدة كان اغناطيوس نظمها لآكراه . لكنّه رأى في قصر احدى ساقه عاراً فطلب ان يتأنف الجراحون لهُ عملية مؤلة جداً تحمّل مضضها بكل صبر . ثم لزم الفراش أياماً ريثما تصحُّ الساق واذ لم يجد اذ ذاك في قصره ما يتسلّى به في ساعات الفراغ الا كتاب سير القديسين عمل فيه مثل اولئك الابطال فبقصد ان يحذو حذوهم . وما فتى ان قام بوعدهِ وبأشرك تلك الاعمال العجيبة التي تقرأها في سيرة حياته ولاسيّما انشاؤه للرهبانية اليسوعية التي رد بواسطتها اقطاراً عديدة الى حجب الكنيسة وعلى الخصوص في اللانية وسويسرة فضلاً عن امم الوثنيين في اقاصي العالم

فكان اذنُ هُجج اغناطيوس علة لارتدادهِ وسيباً لا حصل بعدهُ من الخير العام في الكنيسة . وذلك ما جعل اهل اسبانية عروماً واقاليها الشاهية خصوصاً ان يقيموا